

قصيدة أبي إسحاق الأبيري

تفت فؤادك الأيام فتا
وتتحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق
ألا يا صاح أنت أريد أتا
أراك تحب عرسا ذات خدر
أبتّ طلاقها الأكياس بتا
تمام الدهر وبحك في غطيظ
بها حتى إذا مت اتبعتها
فكم ذا أنت مخدوع وحت
متى لا ترعوي عنها وحتى
أبا بكر دعوتك لو أجبنا
إلى ما فيه حظك لو عقلنا
إلى علم تكون به إماما
مطاعاً إن نهيت وإن أمرتا
ويجلو ما بعينك من غشاها
ويهديك الطرق إذا ضللتا
وتحمل منه في ناديك تاجا
ويكسوك الجمال إذا عريتا
ينالك نفعه ما دمت حيا
ويبقى ذكره لك إن ذهبتا

هو العضب المهند ليس ينبو
تصيب به مقاتل من أردتا
وكنز لا تخاف عليه لصا
خفيف الحمل يوجد حيث كتتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه
وينقص إن به كفا شدتتا
فلو قد ذقت من حلواه طعما
لآثرت التعلم واجتهدتا
ولم يشغلك عنه هوى مطاع
ولا دنيا بزخرفها فُتنتا
ولا ألهاك عنه أنيق روض
ولا دنيا بزيتتها كلفتا
فقوت الروح أرواح المعاني
وليس بأن طعمت ولا شربتتا
فواظبه وخذ بالجد فيه
فإن أعطاكه الله انتفعتا
وإن أعطيت فيه طويل باع
وقال الناس إنك قد علمتا
فلا تأمن سؤال الله عنه
بتويخ : علمتَ فما عملتا
فرأس العلم تقوى الله حقا
وليس بأن يقال لقد رأستا

وأفضل ثوبك الإحسان لكن
نرى ثوب الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يفدك العلم خيرا
فخير منه أن لو قد جهلتا
وان ألقاك فهمك في مهاو
فليتك ثم ليتك ما فهمتا
ستجني من ثمار العجز جهلا
وتصغر في العيون إذا كبرتا
وتُفقد إن جهلت وأنت باق
وتوجد إن علمت ولو فُقدتا
وتذكر قولتي لك بعد حين
إذا حقا بها يوما عملتا
وان أهملتها ونبذت نصحا
وملت إلى حطام قد جمعتا
فسوف تعض من ندم عليها
وما تغني الندامة إن ندمتا
إذا أبصرت صحبتك في سماء
قد ارتفعوا عليك وقد سفلتا
فراجعها ودع عنك الهوينى
فما بالبطء تدرك ما طلبتا
ولا تختل بمالك واله عنه
فليس المال إلا ما علمتا

وليس لجاهل في الناس مغن
ولو مُلك العراق له تاتا
سينطق عنك علمك في ملاء
ويكتب عنك يوما إن كتما
وما يغنيك تشييد المباني
إذا بالجهل نفسك قد هدمتا
جعلت المال فوق العلم جهل
العمرك في القضية ما عدلتا
وبينهما بنص الوحي بون
ستعلمه إذا طه قرأتا
لئن رفع الغني لواء مال
لأنت لواء علمك قد رفعتا
لئن جلس الغني على الحشايا
لأنت على الكواكب قد جلستا
وإن ركب الجياد مسومات
لأنت مناهج التقوى ركبتا
ومهما افتض أبكار الغواني
فكم بكر من الحكم افتضنتا
وليس يضرك الإقتار شيئا
إذا ما أنت ربك قد عرفتا
فماذا عنده لك من جميل
إذا بفناء طاعته أنختا

فقابل بالقبول لنصح قولي
فإن أعرضت عنه فقد خسرتا
وان راعيته قولا وفعل
اوتاجرت الإله به ربحتا
فليست هذه الدنيا بشيء
تسوؤك حقة وتسروقتا
وغايتها إذا فكرت فيها
كفيئك أو كحلمك إذ حلمتا
سجنتَ بها وأنت لها محب
فكيف تحب ما فيه سجتتا
وتطعمك الطعام وعن قريب
ستطعم منك ما فيها طعمتا
وتعري إن لبست بها ثيابا
وتكسى إن ملابسها خلعتا
وتشهد كل يوم دفن خل
كأنك لا تراد لما شهدتا
ولم تخلق لتعمرها ولكن
لتعبرها فجد لما خلقتا
وان هدمت فزدها أنت هدمتا
وحصن أمر دينك ما استطعتا
ولا تحزن على ما فات منها
إذا ما أنت في أخراك فزتا

فليس بنافع ما نلت منها
من الغاني إذا الباقي حرمتا
ولا تضحك مع السفهاء يوما
فإنك سوف تبكي إن ضحكتا
ومن لك بالسرور وأنت رهن
وما تدري أتفدى أم غللتا
وسل من ربك التوفيق فيها
وأخلص في السؤال إذا سألتا
وناد إذا سجدت له اعترافا
بما نادا ذو النون ابن متى
ولازم بابه قرعا عساه
سيفتح بابه لك إن قرعتا
وأكثر ذكره في الأرض دأبا
لتذكر في السماء إذا ذكرتا
ولا تقل الصبا فيه امتهال
ونكر كم صغير قد دفتا
وقل يا ناصحي بل أنت أولى
بنضحك لو لفعلك قد نظرتا
تقطعني على التفريط لوما
وبالتفريط دهرك قد قطعنا
وفي صغري تخوفني المنايا
وما تدري بحالك حيث شختا

وكنت مع الصبا أهدي سيلا
فما لك بعد شيك قد نكتا
وها أنا لم أخض بحر الخطايا
كما قد خضته حتى غرقنا
ولم أشرب حُميا أم دفر
وأنت شربتها حتى سكرنا
ولم أنشأ بعصر فيه نفع
وأنت نشأت فيه وما انتفعتا
ولم أحلل بواد فيه ظلم
وأنت حللت فيه واتهكتا
لقد صاحبتَ أعلاما كبارا
ولم أرك اقتديت بمن صحبتنا
وناداك الكتاب فلم تجبه
ونبهك المشيب فما اتبعتها
ويقبح بالفتى فعل التصابي
وأقبح منه شيخ قد تفتا
ونفسك ذم لا تدمم سواها
لعيب فهي أجدر من ذممتا
وأنت أحق بالتغنيد منه
ولو كنت اللبيب لما نطقنا
ولو بكت الدما عيناك خوفا
لذنبك لم أقل لك قد أمتنا

ومن لك بالأمان وأنت عبد
أمرت فما ائتمرت ولا أطعنا
ثقلت من الذنوب ولست تخشى
لجهلك أن تخف إذا وزتنا
وتشفق للمصر على المعاصي
وترحمه ونفسك ما رحمتا
رجعت القهقري وخبطت عش
ويلعمرك لو وصلت لما رجعتا
ولو وافيت ربك دون ذنب
ونوقشت الحساب إذا هلكنا
ولم يظلمك في عمل ولكن
عسير أن تقوم بما حملتا
ولو قد جنت يوم الحشر فردا
وأبصرت المنازل فيه شتى
لأعظمت الندامة فيه لهفا
على ما في حياتك قد أضعتا
تفر من الهجير وتتقيه
فها من جهنم قد فررتا
ولست تطيق أهونها عذابا
ولو كنت الحديد به لذبتا
ولا تتكر فإن الأمر جد
وليس كما حسبت ولا ظننتا

أبا بكر كشفت أقل عيبي
وأكثره ومعظمه سترتا
فقل ما شئت في من المخازي
وضاعفها فإنك قد صدقتا
ومهما عبتني فلفرط علمي
بباطنه كأنك قد مدحتا
فلا ترض المعايب فهو عار
عظيم يورث المحبوب مقتا
وتهوي بالوجيه من الثريا
ويبدله مكان الفوق تحتا
كما الطاعات تملك الدراري
وتجعلك القريب وإن بعدتا
وتتشر عنك في الدنيا جميلا
وتلقى البر فيها حيث شتتا
وتمشي في مناكبها عزيزا
وتجني الحمد فيما قد غرستا
وأنت ان لم تُعرف بعبي
ولا دنست ثوبك مذ نشأتا
ولا سابقت في ميدان زور
ولا أوضعتَ فيه ولا خبتا
فإن لم تتأ عنه نشبت فيه
ومن لك بالخلاص إذا نشبتا

تدنس ما تطهر منك حتى
كانك قبل ذلك ما طهرتا
وصرت أسير ذنبك في وثاق
وكيف لك الفكاك وقد أسرتا
فخف أبناء جنسك واخش منهم
كما تخشى الضراغم والسبتا
وخالطهم وزايلهم حذارا
وكن كالسامري إذا لمستا
وان جهلوا عليك فقل سلامل
علك سوف تسلم إن فعلتا
ومن لك بالسلامة في زمان
تال العصم إلا إن عصمتا
ولا تلبث بحي فيه ضيم
يميت القلب إلا إن كُبلتا
وغرب فالتغرب فيه خير
وشرق إن بريقك قد شرقتا
فليس الزهد في الدنيا خمولا
لأنت بها الأمير إذا زهدتا
ولو فوق الأمير تكون فيها
سموا وارتفاعا كنت أنتا
فإن فارقتها وخرجت منها
إلى دار السلام فقد سلمتا

وان أكرمتها ونظرت فيها
لإكرام فنفسك قد أهنتا
جمعتُ لك النصائح فامتثلها
حياتك فهي أفضل ما امتثلنا
وطولتُ العتاب وزدت فيه
لأنك في البطالة قد أطلنا
ولا يغررك تقصيري وسهوي
وخذ بوصيتي لك إن رشدنا
وقد أردفتها تسعا حسانا
وكانت قبل ذا مائة وستا
وصلى على تمام الرسل ربي
وعترته الكريمة ما ذكرنا

هذه القصيدة لأبي إسحاق الأبيري